الحركة الطلابية والتغير الاجتماعي –الحركة الطلابية الجزائرية نموذجا–

The student movement and social change
-the Algerian student movement as a model-

حليس سمير*

جامعة بجاية (الجزائر)، samir.hallis@univ-bejaia.dz

HALLIS Samir

University of Bejaia (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/11/26 تاريخ القبول:2022/03/19 تاريخ النشر:2022/04/15

ملخص: تهتم هذه الورقة بالتعرف على الحركة الطلابية وعلاقتها بالتغير الاجتماعي في المجتمعات المعاصرة، حيث عرض الباحث من خلالها لخصائصها ومميزاتها، والعوامل التي تزيد من فعاليتها كحركة فرضت نفسها باعتبارها واحدة من العوامل المساعدة على تحريك عجلة التقدم نحو الأمام، وقد تناولت الحركة الطلابية الجزائرية كنموذج من خلال التعرف على أهم المحطات التي عرفتها هذه الأخيرة منذ نشأتها إلى يومنا هذا، والعراقيل التي واجهتها، وأهم الإسهامات التي قدمتها خاصة في المراحل الحاسمة لتطور المجتمع الجزائري. ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث أن الحركة الطلابية حركة مستقلة فكريا وإيديولوجيا تأمن بأفكارها وتدافع عن القضايا المجتمعية الهامة، وترفض أن تكون أداة يستخدمها الآخرون لتحقيق أهدافهم، وهو ما يفسر عدم الرغبة فيها واضطهاد المنتمين إليها وتهميشهم. في الجزائر ساهمت هذه الحركة تقريبا في كل محطات التغيير للمجتمع الجزائري بالرغم من غيابها في بعض الفترات نتيجة للضغوط التي مارسها عليها النظام السياسي، حيث تعتبر من الحركات الاجتماعية الأكثر نشاطا والأكثر تأثيرا في القضايا المصيرية، سواء في المرحلة الاستعمارية أو في مرحلة الاستقلال بكل تجلياتها.

الكلمات المفتاحية: الحركات الاجتماعية، الحركة الطلابية، الطلبة، التغير الاجتماعي.

Abstract: This article aims to identify the student movement and its relationship to social change in contemporary societies, Where the researcher presented through it its characteristics, advantages and factors that increase its effectiveness as a movement that imposed itself as one of the factors helping to move the wheel of progress forward, and it dealt with the Algerian student movement as a model by identifying the most important stations that the latter has known since its inception to this day, and the obstacles that it faced, and the most important contributions it made, especially in the crucial stages of the development of Algerian society. Among the most important findings of the researcher is that the student movement is an intellectually and ideologically independent movement that believes in its ideas and defends important societal issues, and refuses to be a tool used by others to achieve their goals, which explains the lack of desire for it and the persecution and marginalization of its members. In Algeria, this movement contributed to almost all the stations of change in Algerian society, despite its absence in some periods as a result of the pressures exerted on it by the political system, as it is considered one of the most active and most influential social movements in the fateful issues, whether in the colonial phase or in the independence phase in all its manifestations.

Keywords: Social movements, student movement, students, social change.

*المؤلف المرسل: مخبر الدراسات الاجتماعية ESTERE

مقدمة:

من بين الحركات الاجتماعية التي ميزت العصر الحديث، تحظى الحركة الطلابية باهتمام خاص من قبل الدارسين بالنظر لما يحتله الطلاب من موقع متفرد بين شرائح المجتمع المختلفة، فهي مشكلة غالبا من أفراد شباب يمثلون طليعة الجيل الذي يختلف، بل وقد يصطدم اصطداما حضاريا وثقافيا مع أسلافه ضمن الإطار المعروف بصراع الأجيال، كما أنها تهدف دائما لإحداث التغيير والثورة على كل ما تعتبره منافيا لروح عصرها، مما يفتح المجال للصراع مع شرائح أخرى قد تعتبر نشاطها بمثابة تهديد صريح لمصالحها وللمكانة الاجتماعية التي تحتلها في السلم الاجتماعي، وهو صراع مفتوح على كل الاحتمالات بما في ذلك العنف والمواجهة المباشرة، خاصة مع ممثلي النظام السياسي الذي يدافع عن مصالح طبقات محددة في المجتمع، وبذلك تعتبر الحركات الطلابية واحدة من المحركات الأساسية للتغير الاجتماعي في العصر الحديث. بهذا الصدد، وكنموذج عن نشاط الحركات الطلابية خاصة في البلدان النامية، لعبت الحركة الطلابية الجزائرية دورا أساسيا في التغيرات التي عرفها المجتمع الجزائري منذ المرحلة الاستعمارية إلى يومنا هذا، وكان لها بصمات واضحة تقريبا في كل المحطات الكبرى التي مر بها هذا المجتمع.

1- أهمية الدراسة، أهدافها والمنهج المستخدم فيها:

كموضوع للدراسة والبحث، تعتبر الحركة الطلابية في غاية الأهمية بالنظر للدور الكبير الذي تلعبه في حلحلة العديد من القضايا والمشكلات للمجتمعات المعاصرة، حيث يعتبر التعرف على خصائصها، أهدافها والمشكلات التي تعترضها ضروريا للغاية لفهم مسارات التغير الاجتماعي والميكانيزمات التي تتحكم في تلك المسارات، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه الحركة تضم في الغالب شبابا متعلمين ومثقفين يتطلعون دائما نحو مستقبل أفضل، مما يدخلهم في مواجهات دائمة مع فئات أخرى تنتهي في الكثير من الأحيان باستخدام العنف والقوة، هذه المواجهات غالبا ما تؤدي إلى التغيير على مستوى البنية الاجتماعية خاصة من أجل الاستجابة للشروط التي يفرضها الطلبة. إن أهمية هذه الدراسة تكمن بالخصوص في محاولتها التعرف على الدور الذي تلعبه الحركات الطلابية بالنسبة للتغير الاجتماعي من خلال التحليل السوسيولوجي لعلاقات الصراع والقوة التي تربط أعضاء تلك الحركة كفئة اجتماعية بفئات اجتماعية أخرى، وهي بذلك تتجاوز طبيعة العديد من البحوث التي اهتمت بدراسة هذا الموضوع، والتي ركزت في معظمها على السرد التاريخي لتطور هذه الحركة. من خلال ذلك التحليل، تسعى هذه الورقة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ✓ التعرف على الحركة الطلابية وخصائصها من أجل فهم تركيبتها البشرية والأهداف التي تصبو إلى تحقيقها من خلال الأنشطة التي تزاولها.
- ✓ كشف الأساليب التي تستخدمها الحركة الطلابية في تحقيقها لأهدافها، والعوامل التي تدفعها لتبني أساليب معينة دون غيرها.
- ✓ معرفة المشاكل التي تعيق نشاطات الحركة الطلابية وردود أفعال الطلبة لتجاوزها.
- ✓ كشف الدور الذي تلعبه الحركات الطلابية في تحقيق التغير الاجتماعي.
- ✓ التعرف على الحركة الطلابية الجزائرية وتطورها منذ نشئتها إلى يومنا هذا، بالإضافة لكشف أهم العراقيل التي واجهتها والإسهامات التي قدمتها في سبيل معالجة العديد من القضايا المجتمعية الهامة.

✓ التعرف على أهمية الدور الذي لعبته الحركة الطلابية الجزائرية بالنسبة للتحولات الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري.

وقد فرضت الدراسة بطبيعتها استخدام المنهج الوصفي التحليلي خاصة من أجل وصف خصائص الحركة الطلابية والتعرف على ما يميزها عن الحركات الاجتماعية الأخرى، بالإضافة إلى كشف طبيعة الصراعات التي ميزت نشاطاتها في سبيل الاعتراف بها أو من أجل تحقيق أهدافها، كما تم الاعتماد على المنهج التاريخي كمنهج مساعد لعرض تاريخ الحركة الطلابية الجزائرية بمقارنة مختلف المصادر التي تناولته.

2- مفهوم الحركة الطلابية:

تعتبر الحركة الطلابية جزء لا يتجزأ من الحركة الاجتماعية العامة، فهي تتشكل من أفراد يعيشون في المجتمع ويتفاعلون مع البيئة المحيطة فيؤثرون فيها ويتأثرون بها، وهو ما يفسر اهتمام الطلبة بعدد من القضايا التي لا تتعلق مباشرة بالظروف التي يعيشونها داخل المحيط الجامعي ودفاعهم عنها، كقضايا التحرر والتمييز العنصري والتنمية...الخ، أو تحالفهم مع فئات أخرى من المجتمع كما حدث مع الحركة الطلابية الفرنسية سنة 1968، حيث انضم العمال للطلبة ليشكلوا مع بعض وسيلة ضغط أجبرت النظام السياسي على تبني العديد من الإصلاحات في كافة مجالات الحياة في فرنسا .

ومن جهة أخرى، تعتبر الحركة الطلابية جزء من الحركة الشبابية العامة، فمعظم الطلبة ينتمون لفئة الشباب، أي لفئة اجتماعية مختلفة نسبيا يجمعها في الغالب شعور بالتميز عن الآخرين، وتصور مختلف عن الحياة والمجتمع، ويحركها طموحها اللامحدود في مستقبل أفضل ومختلف، والحقيقة أن التجارب التاريخية قد أثبتت أن الطلبة دائما ما لعبوا أدوارا محورية فاعلة ضمن الحركات الشبابية واحتلوا وضعيات مرموقة فيها، وكانوا بمثابة الوقود الذي يحركها. إن الحركة الشبابية لا يمكن أن تكون فاعلة ومؤثرة إلا عندما تأتي من خزانها في الجامعات، فالطلبة يجمعون إلى طاقة الشباب القدرة على التفكير والتأمل، ويمنحون لهذه الحركة الفعالية والقوة اللازمة في التأثير والحشد والتوجيه، والتاريخ يشهد أن الحركات الشبابية الأكثر فعالية قد انطلقت من الجامعات وأطرها طلبة جامعيون. لكن وبالرغم من التداخل الكبير في الصفات بين الطلبة والشباب واشتراكهم في أغلب الحركات الاجتماعية التي عرفها العالم الحديث، ودفاع بعضهم عن البعض الآخر ضمن تلك الحركات، إلا أن للحركة الطلابية ما يميزها .

يذهب 'مبارك الموساوي' إلى أن الحركة الطلابية "تحرك جماعي ينظمه طلبة الجامعات داخل الجامعات أو خارجها للتعبير عن وجهات نظرهم حول قضايا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو غير ذلك" (الموساوي، 2010، ص ص 1-2)، فهذه الحركة تعتبر كنتاج لوعي طلابي جماعي خالص بمجموعة من القضايا المشتركة سواء تعلقت بظروفهم البيداغوجية والمعيشية داخل المحيط الجامعي، أو بمشكلات اجتماعية أوسع تعاني منها الشعوب التي ينتمون إليها، بمعنى أنها حركة لا يشارك فيها إلا الطلبة دون غيرهم من فئات المجتمع الأخرى. والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن يرتكز بهذا الصدد حول مفهوم الطالب بحد ذاته .

من الناحية الشكلية، ولأجل أن تكون طالبا يكفيك أن تزاول دراسة بإحدى مؤسسات التعليم العالي، وهذا التعريف الشكلي للطالب يحدد له دورا اجتماعيا أساسيا مضبوطا بمجموعة من الممارسات المتوقعة منه والمنحصرة بالأساس في الجهود التي ينبغي أن تركز على مجالات الدراسة والبحث، مما يؤدي في النهاية إلى قولبة تصرفات الطلبة وأنشطتهم اليومية التي ستصبح بالضرورة متشابهة ومتوقعة بالرغم من الاختلافات التي يمكن أن تظهر من

طالب لآخر، والتي تنحصر في مستوى الجدية ودرجات الالتزام والاهتمام بالدراسة والبحث. وبناء على ذلك، يعتقد البعض أن الاهتمام بدراسة الظاهرة الطلابية ينبغي أن ينحصر فقط في تناول العلاقة التي تربط الطلبة بدراستهم دون الاهتمام بالجوانب الأخرى، بمعنى أن الاهتمام ينبغي أن ينصب على دراسة تجارب الطلبة وتأثيرها على شخصياتهم الفردية والجماعية، وبالضبط تأثير تلك التجارب على الأعمال المرتبطة بالجوانب البيداغوجية الخاصة بهم وفقط(ERLICH, 2006).

ومن جهتنا، نعتقد أن حصر مفهوم الطالب فقط في هذا المجال لا يمكن أن يعطينا صورة صادقة عنه وعن الاهتمامات التي توجه سلوكه خاصة في إطار ما أسميناه بالحركة الطلابية، وذلك لسببين أساسيين، أما الأول فيكمن في الفصل التعسفي بين البيئة الجامعية والمحيط الاجتماعي وفق تصور شاذ ينظر إلى الجامعة وكأنها منعزلة عن كل ما يحيط بها، وكأن القائمين على هذا الفصل يهدفون إلى إقصاء الطلبة من المشاركة في العديد من القضايا المجتمعية. أما السبب الثاني فيرتبط بالصرامة المبالغ فيها من أجل وضع الحدود التي تميز الطلبة عن فئات أخرى في المجتمع بحصرهم في أولئك الذين يزاولون دراساتهم في مؤسسات التعليم العالي أو في الجامعات، مع أن بعض التجارب التاريخية قد أثبتت أن طلبة ينتمون لمستويات دنيا قد يشكلون جزءا أساسيا في تلك الحركة كما كان الأمر بالنسبة للحركة الطلابية الجزائرية إبان حرب التحرير، حيث انضم طلبة الثانويات لطلبة الجامعات ليشكلوا كتلة واحدة للدفاع عن قضايا الأمة .

وقد عالج البعض المسألة الطلابية بجدية أكبر خاصة مع الاعتراف ببعد الصراع وعدم الرضا الذي كثيرا ما ميز الحركة الطلابية، حيث عرفت هذه الأخيرة على أنها جهد جماعي منظم يعبر عنه من خلال الاحتجاجات والرفض الذي يمارسه الطلبة ضد سياسات وإجراءات يتخذها الغير ضد الطلبة أو ضد الأفكار التي يؤمنون بها (أحمد وبن سليم، 2018، ص ص 65-66)، وبهذا المعنى يصبح جليا أن الحركة الطلابية ما هي في الحقيقة إلا رد فعل على عدم الاعتراف بالطلبة كفاعلين أساسيين في مختلف القضايا للمجتمعات المعاصرة .

3- مشكلة الاعتراف بالحركات الطلابية:

في بداية ظهورها، واجهت الحركات الطلابية معضلة حقيقية فيما يتعلق بالاعتراف بوجودها ومصادر تمويلها الفكري والإيديولوجي، وقد تلازم هذا الظهور مع الدمار الكبير الذي خلفته الحرب العالمية الثانية بتجدد الصراع الإيديولوجي بين النزعتين المادية ممثلة بالتيار الماركسي الذي تجسده أفكار المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، والمثالية ممثلة بالتيار الليبرالي الذي تجسده أفكار المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد اختلفت هذه الحركات في أفكارها ومطالبها والمبادئ العامة التي تقوم عليها والمسائل التي تدافع عنها، اختلفت عن كل ما هو مألوف في تلك الفترة، ومثلت ثورة حقيقة خاصة فيما تعلق بطرق التنظيم ووسائل المطالبة بالحقوق والدفاع عنها، لذلك لم تكن تحظى بالاعتراف لدى مختلف التيارات الفكرية، فاعتبرها الليبراليون ظاهرة اجتماعية مرضية وجب القضاء عليها، حيث بدت أفكارها شاذة وغريبة، ذلك أن دور الطالب ينبغي أن ينحصر في طلب العلم مع التركيز على كل ما يرتبط بجوانب التحصيل الدراسي ضمن شروط المنافسة الحرة التي تتبناها المؤسسات التعليمية، وبدا اهتمام الطلبة ببعض القضايا التي لا ترتبط مباشرة بالمجال الوظيفي للمؤسسات الجامعية ضمن النظام الرأسمالي غامضا بالنسبة لليبراليين .

أما بالنسبة للماركسيين، فقد عجزوا بدورهم عن تقديم تفسيرات علمية مقنعة لهذه الظاهرة الاجتماعية الغريبة، "فخلافا لكل التنظيرات الماركسية حول دور الطبقة العمالية وحزبها الطليعي في قيادة التغيير ضد الأنظمة البورجوازية نجد الطلاب –وهم فئة تكاد تستعصي على التصنيف الطبقي– هم الذين رفعوا شعار 'رامبو' الشهير: ينبغي تغيير الحياة، هذه الحياة الرتيبة والتقليدية لم تعد تناسبنا" (بدر، 2008)، كما أن نجاح الرأسمالية في إقامة مجتمع الوفرة المتطور بعد الحرب العالمية الثانية قد أزاح رغبة الطبقة العمالية في التغيير، لينتقل العنفوان الثوري، حسب "ماركوز"، من المركز الطبقي إلى هوامشه، وبرزت قضايا أخرى تستحق الاهتمام أكثر كقضايا الشعوب الفقيرة والأعراق المنبوذة والعاطلون عن العمل في دورة الإنتاج والمهاجرون المستغلون (بوعزة، 2008)، وأمام هذه التغيرات، لم يجد الماركسيون أي تفسير، وفي أحسن الأحوال اعتبروا الحركات الطلابية مجرد وسيلة اخترعها الليبراليون للدفاع عن مصالحهم وعرقلة مسار التطور الطبيعي للمجتمع نحو بناء ما يسمونه بالمجتمع الشيوعي .

لقد تكفلت الأنظمة السياسية الغربية الليبرالية منها والاشتراكية على حد سواء بتجسيد عدم الرغبة في الحركة الطلابية وأيديولوجيتها على أرض الواقع. فكانت إما تستغلها سياسيا لصالحها أو تحاربها وتشدد الخناق على نشاطاتها، ولعل أفضل مثال على هذا الاستغلال ما حدث لمنظمة الطلاب الهنود الذين مارسوا المقاومة السلبية في فترة الاحتلال، واعتبر عملهم هذا من قبل السياسيين الذين كانوا يحرضونهم إيجابيا، ولكنه اعتبر عملا فوضويا وسلبيا من نفس هؤلاء السياسيين بعد انتهاء مرحة مكافحة الاحتلال البريطاني (ساسي، 2004). أو كما حصل مع الحركة الطلابية الفرنسية، ففي 13 حزيران/يوليو عام 1968 لم تتردد الديمقراطية الفرنسية –بالرغم من الشعارات الرنانة التي كانت ترفعها– في إنزال دباباتها بالحرم الجامعي للسربون لوضع حد للتمرد الطلابي (بدر، 2008).

4– لماذا توصف الحركات الطلابية بالثورية؟

كما أشرنا من قبل، تعتبر الحركة الطلابية جزءا لا يتجزأ من الحركة الشبابية العامة التي يسعى من خلالها الشباب والمراهقين إلى التميز ضمن نسق ثقافي مستقل نسبيا تختلف عناصره اختلافا كبيرا عن ثقافة البالغين، ويضمن للطلبة من خلاله أسلوبا متفردا في الحياة يلبي كافة احتياجاتهم السيكولوجية، وهذا الأسلوب يشكل في ذات الوقت وسيلة ضغط اجتماعي من أجل التخلي عن الأساليب التقليدية في إدارة شؤون المجتمع على اعتبار أن الشباب لم يكتفوا في الغالب بعزلتهم وتميزهم في الذوق واللباس وطريقة الأكل والموسيقى...إلخ، بل كانت لهم دائما مطالب اجتماعية ذات أبعاد مختلفة امتدت لتمس كافة جوانب الحياة، وقد بلغ بها الطموح إلى أن تصطدم مع شرائح اجتماعية واسعة خاصة تلك الممثلة للأنظمة السياسية، ووصفت هذه الحركة من قبل الكثيرين على أنها ثورية. فما الذي يدفع بالطلبة إلى تبني الأسلوب الثوري في التعبير عن أفكارهم ومطالبهم؟

يعتقد بعض المهتمين بدراسة الحركة الطلابية أن المشكلة في ذلك تكمن في الفهم الخطأ (أو المتعمد) للجامعة ودورها في المجتمع وموقعها ضمن النسق الاجتماعي العام، حيث ينظر إليها على أنها مستقلة تماما عن محيطها، وأن وظيفتها تنحصر في التكوين العلمي والمهني للطلبة تلبية لحاجات المجتمع من الكوادر المختلفة، وبالتالي فإن اهتمام الطالب بالشؤون الاجتماعية العامة هو بمثابة انحراف عن المسار المحدد له وللمؤسسة التي ينتمي إليها سلفا، وهنا يكمن سر تبني الحركة الطلابية للأسلوب الثوري في التعبير عن مطالبها، حيث يعتبر ذلك بمثابة رد فعل مباشر على كيفية التعامل مع الطلبة وتهميشهم باعتبارهم شبابا مثقفين وقادرين على المساهمة الإيجابية في بناء مجتمعاتهم.

لقد عرج "إدغارد موران" على هذه المسألة ضمن مقال له صدر سنة 1969، أي سنة واحدة بعد أحداث الطلبة بجامعة السربون والجامعات الفرنسية عموما، حيث اعتبر البيئة الجامعية بيئة محفزة لبروز النزعة الثورية وسط الحركة الطلابية، فتركيز حياة الطلاب وسط الجامعة وعزلهم عن البيئة المحيطة وتهميشهم بمنعهم من المشاركة هو السبب الرئيسي لبروز الفعل الجماعي وروح التضامن فيما بينهم، فالطلبة ينتمون أصلا، وقبل انتمائهم للجامعة، إلى فئة اجتماعية أكثر اتساعا تعاني من التهميش، أو على الأقل لديها إحساس بالعزلة عن البيئة التي تتواجد بها (MORIN, 1969, p. 770).

وبالرغم من أهمية هذا العامل، إلا أنه قد لا يكون كافيا لتبني الأسلوب الثوري في الدفاع عن الحقوق، خاصة وأننا نتحدث عن فئة مثقفة قد تمتلك أساليب أخرى تجنبها الدخول في الصراع مع أية جهة كانت. حيث ربط البعض الآخر، ومنهم "أرنست ماندل"، التمرد الطلابي باستلاب الطلبة أمام سلطة الجامعة وأسلوبها العقيم في تسيير شؤونهم، والبرامج الكلاسيكية التي كانت تفرضها على الأقل في مجالات العلوم الاجتماعية (بدر، 2008). تسهر المؤسسات الجامعية في الغالب على تنفيذ خطط تعليمية وفق إيديولوجيات معينة تحددها السلطة المركزية في كل بلد، ولتجنب الخروج عن المسار المحدد لها سلفا تنفرد إداراتها المركزية بسلطة اتخاذ القرارات، مع تجاهلها لإسهامات مختلف الفاعلين وعلى رأسهم الطلبة، لذلك شكلت المطالب المتعلقة بإصلاح المنظومة التعليمية في الوسط الجامعي أهم المحاور في لائحة مطالب معظم الحركات الطلابية في العالم. وقد تبين من خلال هذه المطالب أن الطلبة قد أرادوا أن يلعبوا أدوارهم كاملة بصفتهم الفاعلين الأساسيين في حياتهم الخاصة (MARON, 1996) .

5- الحركة الطلابية والتغير الاجتماعي:

إن الرغبة في التغيير لدى الطلبة الشباب مصدرها الأساسي إدراكهم أن المستقبل مستقبلهم وأنهم المسئولون عن المساهمة في تقديم الحلول الكفيلة بتجاوز المشكلات المرتبطة بهذا المستقبل، وقد واجهت الحركة الطلابية مشكلة حقيقة بسبب ما كان مفروضا عليها من أفكار مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، إذ وجدت نفسها أمام خيارين أساسيين لا ثالث لهما، فإما أن تتبنى الفكر المثالي وتنظم للمدافعين عن الأفكار الليبرالية، وإما أن تغوص في الفكر المادي وتدافع على الأفكار الاشتراكية، لكنها قبلت التحدي برفضها لكلا التيارين الفكريين، واختارت الحرية برفض العبودية الفكرية لمقولات تقليدية كانت يوما ما ثورية ويراد لها أن تظل ثورية للأبد (عصمت، 2016)، بمعنى أنها قد اختارت الوسائل الفكرية والنضالية الملائمة لتحقيق أهدافها بعيدا عن الصراع الإيديولوجي الذي طبع حياة ما بعد الحرب العالمية الثانية .

لقد قدمت الحركات الطلابية تصورات جديدة لتنظيم المجتمعات الحديثة خارج نطاق الأنساق الفكرية التقليدية، حيث لم يشغلها لا التكامل الوظيفي والاستقرار الاجتماعي الذي لطالما تغنى به المدافعون عن النظام الرأسمالي رغم انحدار أغلب الطلبة من عائلات بورجوازية ميسورة الحال، ولا النضال العمالي والصراع الطبقي الذي شغل لعقود طويلة المدرسة الماركسية وتابعيها خاصة وأنهم يحتلون مكانة تقع تماما خارج دوائر الإنتاج، وبدا أن ما يشغلهم قد أصبح خارج نطاق المشكلات التقليدية، مما يستوجب تغييرا جذريا في طريقة التعامل مع انشغالاتهم مع استخدام وسائل مختلفة تماما للاستجابة لتطلعاتهم وتحقيق مطالبهم. وقد يفهم البعض أن الحركات الطلابية قد سعت للقطيعة التامة مع الماضي بكل تجلياته، وإلى الانفصال عن الإرث الفكري والثقافي الذي كان سببا في

النهضة الكبرى للمجتمعات الغربية منذ عصر الأنوار، وهذا غير صحيح إذا ما أخذنا بعين الاعتبار فكرة أساسية تتلخص في أن ما يمكن اعتماده لحل مشكلة خاصة بفترة تاريخية محددة لا يمكن أن يكون بالضرورة فعالا لمعالجة مشكلات مستقبلية ومختلفة.

ومن خلال ما سبق، نصل إلى القول أن الحركات الطلابية لا تهدف للقطيعة مع الماضي، ولا تنكر الجذور التي تربط المشاركين فيها بالإرث الثقافي والفكري للأسلاف، بل أنها تنظر إلى هذا الإرث على أنه تجربة ينبغي الاستفادة منها، إنها "تحاول أن تصوغ الحياة في المجتمعات مستفيدة بخبرة الماضي، ولكن بشرط أساسي هو الإبقاء على حرية الإنسان وإرادته في الاختيار والبناء" (عصمت، 2016)، إذ لا يمكن إجبار الإنسان على النظر للوجود ومشكلاته وفق قوالب جاهزة لا ينبغي تجاوزها أو الخروج عنها .

وفي هذا الإطار، ينظر البعض إلى الحركات الطلابية على أنها وسيلة تحرر وتمرد ضد الجبرية الممارسة على الإنسان من كلا النزعتين المادية والمثالية، خاصة مع الفشل الكبير الذي ميز كليهما مع تقدم المجتمعات الصناعية بتناقضاتها الظاهرة والخفية، والخراب الكبير الذي تسببتا فيه من خلال حربين عالميتين مدمرتين، وبما أن الطلبة يشكلون إحدى الفئات الأكثر استقلالية مقارنة بفئات أخرى كالعمال، فقد أخذوا على عاتقهم مسؤولية التمرد ضد الطغيان الفكري والأنظمة السياسية التي تجسده على أرض الواقع (عصمت، 2016). وقد أدى تحرر الطلبة من سيطرة الفكر التقليدي ومقاومتهم له إلى تناول مشكلات جديدة كليا لم تكن مطروحة على طاولات النقاش سواء لدى الليبراليين أو الاشتراكيين، إذ انطلقت مختلف الحركات الطلابية عبر العالم في التعبئة للمطالبة بحل العديد من المشكلات، وتم التعبير على ذلك باستعمال كل الطرق الممكنة كعقد المؤتمرات الطلابية العالمية والمحلية، تنظيم المسيرات والاحتجاجات، تنسيق الجهود بين مختلف المنظمات الطلابية العالمية، وغيرها من الوسائل المتاحة.

وبالرغم من المقاومة الشرسة للحركات الطلابية من جميع الفئات المجتمعية تقريبا، إلا أنها قد حققت الكثير من الإنجازات واستطاعت تحريك المياه الراكدة بعد أن عجزت عن ذلك الأحزاب السياسية من خلال أنشطتها التقليدية، وإلى حد ما التنظيمات العمالية بعد أن نجحت الإيديولوجية الرأسمالية في حل العديد من القضايا المرتبطة بظروف عملها، حيث بدأت تلك الحركات منذ خمسينيات القرن الماضي تحتل مكانتها كطرف يحسب له ألف حساب، وتمكنت من الضغط على الأنظمة السياسية وممثليها لتوجيه العديد من القرارات بما يخدم مصالح القضايا التي يدافعون عنها وفي الكثير من بقاع العالم.

وبما أن المقام لا يسمح بذكر كل الإنجازات التي حققتها مختلف الحركات الطلابية عبر العالم، فسنقتصر على الإشارة للبعض منها على سبيل المثال، ففي سنة 1960 تمكن أربعة طلبة سود من تغيير التاريخ الأمريكي من خلال ما أصبح يعرف باعتصام طاولات غذاء وولوورث، والذي مهد لإلغاء التمييز العنصري من خلال إقرار مرسوم الحقوق المدنية الذي يلغي التمييز بين البيض والسود في الأماكن العامة ويعاقب عليه. وفي فرنسا احتشد حوالي عشرون ألف طالب بجامعة السربون سنة 1968 لتتدخل قوات مكافحة الشغب لمحاولة فك الاعتصام بالقوة مما أدى إلى المواجهة العنيفة والمباشرة بين الطرفين، وبالرغم من فشل هذه الحركة في تحقيق واحد من أهم أهدافها وهو الإطاحة بشارل ديغول إلا أنها استطاعت أن تؤثر بقوة في مستقبل الحياة السياسية والثقافية الفرنسية .

هذه أمثلة على ما فعلته الحركات الطلابية بالمجتمعات الغربية، أما بالنسبة للمجتمعات الشرقية فإن أفضل مثال قد جسدته الحركة الطلابية في الصين، ففي الرابع من يونيو من عام 1989، وبعد عدة أسابيع من الاحتجاج الطلابي، اندلعت مواجهات بين الشرطة والطلبة انتهت بمذبحة حقيقية قدر البعض عدد ضحاياها بالآلاف، وبالرغم من أن التغيرات كانت طفيفة في المجال السياسي، إلا أن الصين قد خطت خطوات عملاقة في المجال الاقتصادي منذ سنة 1989 وبنت اقتصادا أصبح قادرا على منافسة أقوى الاقتصاديات في العالم، كما يمكننا ذكر العديد من الأمثلة الأخرى للحركات الطلابية في البلدان الشرقية وبلدان العالم الثالث خاصة في إيران، ومصر، وجنوب إفريقيا، والجزائر...الخ. وفي كل هذه البلدان كانت البصمة التي تركتها تلك الحركات واضحة خاصة فيما تعلق بالتغيير والدفاع عن حقوق الإنسان ودعم حركات التحرر من الاستعمار .

إن ما يمكن التأكيد عليه عند الحديث عن الحركات الاجتماعية عموما هو أن الحركة الطلابية تعتبر من بين تلك الحركات الأكثر حداثة والأكثر تأثيرا في الحياة الاجتماعية والتغير الاجتماعي للمجتمعات الحديثة، ويمكن أن نرجع هذه القوة في التأثير بالأساس إلى ما يميز فئة الطلبة عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى، حيث تضم هذه الفئة عناصر شابة تتطلع نحو المستقبل، واعية بظروفها، وقادرة على التعبئة والنضال من أجل تحقيق مطالبها، وقد مكنها رصيدها الثقافي بحكم تعليمها بأن تبتكر وسائل ومفاهيم جديدة استخدمتها لمواجهة خصومها، وتمكنت بذلك من تحقيق العديد من الإنجازات التاريخية .

6- الحركة الطلابية الجزائرية كنموذج:

تعتبر الحركة الطلابية الجزائرية من أنشط الحركات الاجتماعية الحديثة في شمال إفريقيا والعالم العربي عموما خاصة في خمسينيات القرن الماضي، وبالرغم من أننا لسنا بصدد التأريخ لهذه الحركة إلا أن التعرف على تطورها وإنجازاتها منذ نشأتها إلى يومنا هذا يعتبر ضروريا لخدمة الأهداف العامة لهذا البحث، ويمكن بهذا الصدد أن نتحدث عن ثلاثة مراحل أساسية مرت بها الحركة الطلابية في الجزائر، حيث تميزت كل مرحلة عن الأخرى من حيث طبيعتها، المشاكل التي واجهتها، وإسهاماتها في تحريك عجلة التطور بالنسبة للمجتمع الجزائري.

6-1- الحركة الطلابية الجزائرية ومناهضة الاستعمار :

لابد من التنويه قبل كل شيء إلى أن نسبة المتعلمين لعدد سكان أرض الجزائر في البدايات الأولى للاحتلال الفرنسي كانت تفوق الأربعون بالمائة وهذا بشاهدة الفرنسيين أنفسهم، فقبل الاحتلال، كانت المدارس والكتاتيب والزوايا تولي عناية فائقة لتثقيف وتعليم الجزائريين، وبلغ الحد بهذه المرافق التعليمية أن وفرت السبل لمواصلة الدراسة في الأسلاك الثانوية وحتى العالية، وذلك بالتنظيم المتواصل للبعثات أو الهجرات التعليمية لكل من فاس والزيتونة والأزهر (حمادي، 1995، ص ص 9-10) وهو ما يعني أن الظاهرة الطلابية كانت موجودة في الجزائر حتى قبل وجود الاحتلال نفسه. أما عن هذه الظاهرة كحركة، وحسب الكتابات المتوفرة حول الموضوع، فيمكن إرجاع جذورها التاريخية كتنظيم مؤثر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى، حيث ظهرت العديد من الحركات كمحاولة من الطلبة لفرض وجودهم ككيان خاص ومستقل، وتعتبر "جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين" أبرز التنظيمات التي تأسست في تلك الفترة وبالضبط سنة 1927 بباريس، وكان الهدف من ذلك هو فقط الدفاع عن حقوق الطلبة المغاربة داخل الحرم الجامعي، حيث أكد "سالم الشاذلي" أحد رؤسائها في كلمة ألقاها بمناسبة انعقاد جمعيتها العامة

سنة 1929 على أنها لا تهتم على الإطلاق بالقضايا السياسية، فضلا عن أنها قد أبدت موقفها خلال تأسيسها عن الامتناع عن أي نشاط سياسي بالرغم من أن نظامها الأساسي لم ينص على ذلك صراحة (مياد، 2013، ص ص 82-83). وبالرغم من ابتعاد هذا النشاط في الغالب عن الخوض في القضايا السياسية والإيديولوجية، إلا أنه سيساعد في المستقبل على تنمية الوعي المشترك لدى الطلبة بقضايا أكثر أهمية تخص مجتمعاتهم.

مع مرور الوقت، وخاصة باتساع رقعتها لتمتد خارج فرنسا إلى المغرب العربي، أصبحت الجمعية تشكل قوة منظمة ونشيطة لعبت دورا محوريا في المعترك السياسي الذي خاضته البلدان المغاربية خاصة بالنسبة لتونس والمغرب الأقصى، فكانت لها مواقف عديدة من التجنس والتعليم، بل ووصل بها الأمر إلى الإلحاح في مؤتمرها الرابع على مبدأ المطالبة بالاستقلال التام لأقطار المغرب العربي باعتبار أن شعوبها تشكل أمة واحدة قاعدتها المشتركة هي الدين الإسلامي الحنيف (مياد، 2013، ص ص 83-84).

في الفترة التي سبقت مباشرة الحرب العالمية الثانية، لم يشكل الطلبة الجزائريون كتلة واحدة يعول عليها لاتخاذ موقف موحد من القضية الاستعمارية، فقد كان منهم من يدافع بشدة عن فرنسا ولغتها ويدعوا صراحة للاندماج الكلي فيها وفي ثقافتها، ومنهم من كانت مواقفه أكثر ليونة بدعائه للاندماج والحصول على نفس حقوق الفرنسيين مع الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية، وفئة ثالثة كانت قليلة العدد، ولكنها أكثر راديكالية في مطالبها، حيث طالبت بالاستقلال التام عن فرنسا، خاصة من أولئك الذين لعبت جمعية العلماء المسلمين دورا كبيرا في توجيههم للدراسة في مؤسسات التعليم الرسمية سواء لجامع القرويين بالمغرب الأقصى (بن بوزيان، 2018، ص ص 110-144) أو إلى جامع الزيتونة بتونس وجامع الأزهر بالقاهرة وغيرها من مؤسسات التعليم في الوطن العربي.

من جهة أخرى، تذكر بعض المصادر أن الطلبة الجزائريين بفرنسا لم يكونوا تابعين تماما لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، حيث كانوا ينشئون في كافة المدن الفرنسية التي تواجدوا بها وبعيدا عن باريس، كانوا ينشئون جمعيات محلية تتصرف في شؤونها بكل حرية وتعتمد على نفسها في مواجهة مختلف المشاكل التي كانت تعترضها دون الرجوع إلى السلطة المركزية بباريس ودون حتى استشارتها (هلال، 2012، ص 23)، وانتهى الأمر بالطلبة الجزائريين إلى إنشاء ما كان يسمى "اتحاد الطلبة الجزائريين بباريس" أو "اتحاد الطلبة الجزائريين لمدينة باريس"، وكان هذا التنظيم يعمل تحت تصرف الحزب الشيوعي الفرنسي، الأمر الذي سيدفع بالجزائريين إلى محاولة تأسيس تنظيم جديد من حيث المضمون والأهداف خاصة مع اندلاع حرب التحرير، وتغير الأهداف التي كانت تنحصر في ظل سيطرة الحزب الشيوعي على المطالبة بتحسين الظروف المعيشية والبيداغوجية للطلبة دون أن تمتد إلى المجال السياسي (هلال، 2012، ص ص 23-24).

يتمثل هذا التنظيم الجديد في "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" الذي تأسس سنة 1955 بعد صراع كبير حول قضية ما يعرف تاريخيا بإثبات حرف الميم(**M**) ، إذ طرح تساؤل رئيسي بهذا الصدد، فهل سيضم هذا الاتحاد المستقبلي فقط الطلبة المسلمين الجزائريين، أي فقط أولئك الذين يحملون علامة "الأهالي" وفقا للاصطلاح الفرنسي ويطلق عليه اسم "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين"، أم أنه سيضم كل الطلبة المولودين في الجزائر بغض النظر عن أصلهم العرقي، وذلك شرط أن يؤمنوا بفكرة الأمة الجزائرية ويبتعدوا عن فكرة الجزائر الفرنسية، وبذلك يوضع كل الجزائريين المنحدرين من كل الأجيال بمن فيهم الأجانب الذين ولدوا بالجزائر بعد سنة 1830 في كفة

واحدة، واقترح أنصار هذا الاتجاه اسم "الاتحاد العام للطلبة الجزائريين" للتنظيم الجديد (بلعيد، 2011، ص ص 44-46)، لتعود الكلمة في النهاية لأنصار الاتجاه الأول، ويكون ذلك بمثابة الخطوة الفعلية الأولى للطلبة الجزائريين في سبيل تحقيق التغيير الاجتماعي، والمساهمة مع إخوانهم من الفئات الاجتماعية الأخرى في تحرير الوطن من السيطرة الاستعمارية .

ومع مطلع سنة 1956 أعلن المسؤولون عن الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين عن دعمهم المطلق للكفاح المسلح الذي تقوده جبهة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي، داعين هذا الأخير لوقف سفك دماء الجزائريين والاستجابة لمطالبهم المشروعة في التحرر والاستقلال، ليطبق الاتحاد بعد ذلك خطوة عملية أكثر جرأة تمثلت في الدعوة للإضراب العام في 19 ماي 1956 مع مناشدة الطلبة الجزائريين للالتحاق بالكفاح المسلح الذي يخوضه إخوانهم المجاهدون في الجبال ضد جنود الاحتلال الفرنسي (سجال، 2018)، وبالرغم من حملات الاضطهاد التي عانى منها الطلبة الجزائريون من قبل سلطات الاحتلال جراء مواقفهم من القضية التحررية، إلا أن ذلك لم يثنيهم عن مواصلة الكفاح سواء بالتحاقهم بالجبال أو عن طريق الكتابة والتحريض ضد المستعمر في مختلف المنابر الإعلامية.

ويكتسي التحاق الطلبة بالثورة أهمية كبيرة، فهو يعتبر من جهة إضافة نوعية لها، حيث أدى ذلك إلى تزويدها بالكوادر المثقفة التي يمكن الاستثمار في مؤهلاتها وكفاءاتها المعرفية خدمة للأهداف العامة المسطرة، ومن جهة أخرى يعتبر بمثابة دعم رمزي كبير خاصة بعد جهود الدعاية التي بدلتها السلطات الاستعمارية في سبيل تلطيخ الحركة الثورية ووصف المنخرطين فيها بالمجرمين والخارجين عن القانون.

لقد لعب الطلبة الجزائريون دورا كبيرا في إحداث التغيير وإنجاح الحركة التحررية بالمساهمة في تحقيق أهدافها العامة وعلى رأسها الحصول على الاستقلال المعلن عنه في 05 جويلية 1962، وقد أكدوا من خلال ذلك أن دور الطلبة لا يقتصر على التحصيل الدراسي داخل المؤسسات التعليمية كما كان يدعي أصحاب الفكر المثالي، بل يمكن أن يمتد إلى الاهتمام بالقضايا المجتمعية الكبرى بالمساهمة في حلها ولو تطلب ذلك الثورة على النظام السائد. زيادة على ذلك، يمكن القول أن الطلبة الجزائريين لم يلتزموا بالدور الوظيفي الذي كانت السلطات الاستعمارية تحجزه لهم كمثقفين ومتعلمين يمكن الاعتماد عليهم كوسيط بين الإدارة الفرنسية والشعب الجزائري، حيث رفضوا لعب هذا الدور بالرغم من الامتيازات التي يمكن أن يستفيدوا منها، وفضلوا الانضمام للحركة الثورية التي تجسد رغبة شعب بأكمله في التحرر وتقرير المصير.

6-2- الحركة الطلابية الجزائر والنظام الاشتراكي:

من الطبيعي أن يتحول معظم الطلبة الأعضاء في "الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" مباشرة بعد الاستقلال إلى مسؤولين بمختلف المؤسسات العمومية للدولة الجزائرية على اعتبار أنهم يمثلون فئة الشباب المثقف الذي يعول عليه في مرحلة التشييد، وقد كان اهتمام معظم هؤلاء منحصرا في المساعدة على نشر التعليم انطلاقا من المناصب التي شغلوها وجعله أولوية بالنسبة للمجتمع الجزائري، لكنهم حافظوا في نفس الوقت على تنظيمهم، حيث اجتمعوا في مؤتمرهم الخامس في 13 أوت 1963، وخرجوا من هذا الاجتماع بمجموعة من القرارات لعل أهمها تغيير اسم

"الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين" باسم "الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين"، والهدف الأساسي من ذلك هو أن يشمل هذا التنظيم طلبة من كل التوجهات الإيديولوجية.

إن ما يؤكد اهتمام الحركة الطلابية الجزائرية بالقضايا المجتمعية العامة حتى في مرحلة ما بعد الاستقلال هو مساندتها للسلطة السياسية في البلاد ودعمها للميثاق الوطني وأهدافه المرتبطة ببناء دولة اشتراكية، حيث أكد الاتحاد بتسميته الجديدة في المؤتمر السادس الذي انعقد بين 13 و15 أوت 1964 على محاربة أعداء سياسة جبهة التحرير الوطني الاشتراكية، كما اتحد الطلبة مع السلطة في كل حملاتها الاجتماعية، وأشرفوا على تنظيم العديد من الملتقيات لتكوين إطارات على ضوء ميثاق الجزائر، وهيكلوا أنفسهم بكل مؤسسات التعليم العالي والإقامات الجامعية وفق تصور المركزية الديمقراطية (غانس، 2011-2012، ص ص 90-91). والحقيقة أن دعم الطلبة للسلطة السياسية للبلاد في تلك المرحلة بالذات هو انعكاس لوعيهم الكبير بضرورة مواصلة المسيرة التي بدأها إخوانهم في 01 نوفمبر 1954، حيث أبانوا بذلك عن المسؤولية اتجاه المساهمة في تحقيق حلم الأمة ببناء دولة حديثة أساسها العدل والمساواة بين جميع الجزائريين.

قلنا منذ البداية أن من خصائص الحركة الطلابية أن المنتسبين إليها مستقلين في آرائهم ومواقفهم من الأحداث التي تجري من حولهم، وهذا ما حدث بالضبط مع الطلبة الجزائريين، حيث كان لهم موقفا مستقلا من التغيير السياسي في رأس هرم السلطة في 19 جوان 1965 بعد إزاحة أحمد بن بلة من رئاسة الدولة ليخلفه هواري بومدين، حيث كان البعض ينظر إلى هذه الخطوة على أنها تصحيحا ثوريا، بينما اعتبرها البعض الآخر انقلابا على الشرعية. لقد رفض الطلبة الجزائريون، من خلال تنظيمهم، تزكية السلطة الجديدة معتبرين ذلك بمثابة انحراف عن المسار المحدد في سبيل بناء دولة مستقلة حديثة، وقد سرع هذا الموقف من تجميد نشاط التنظيم الطلابي القديم سنة 1967، ثم حله نهائيا سنة 1972 ودمج المنخرطين فيه في منظمة طلابية جديدة سميت بالاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية (سجال، 2018)، وكان من الطبيعي أن توظف السلطة هذا التنظيم الجديد في خدمة إيديولوجية الحزب الواحد، وتكليف أعضائه بالتعبئة الشعبية لصالح تلك الإيديولوجيا سواء داخل المحيط الجامعي أو خارجه. والسؤال الذي نطرحه بهذا الصدد هو: هل كان موقف جميع الطلبة سلبيا من تهميش السلطة لهم ووصايتها على أفكارهم؟

في الحقيقة، لم يخضع جميع الطلبة تماما لضغوط السلطة السياسية باتجاه توظيفهم لخدمة مصالحها الإيديولوجية، حيث ظهرت العديد من التوجهات الفكرية الرافضة لفكر الأحادية في المجتمع الجزائري عمل أصحابها بطريقة سرية خاصة من أجل نشر الوعي بخطورة هذا الفكر. ومن الطبيعي أن يكون لتلك التوجهات امتدادا للجامعات ومراكز التعليم العالي (سجال، 2018)، وسيكون لتلك النشاطات السرية دورا كبيرا في الأحداث التي ستعرفها الجزائر مع نهاية الثمانينات من القرن الماضي.

6-3- الحركة الطلابية الجزائرية في عهد التعددية:

عجلت الأحداث التي عرفتها الجزائر في أكتوبر 1988 بالتخلي عن نظام الأحادية الحزبية وتبني التعددية كشكل جديد في بناء النظام السياسي، وقد كان للطلبة دورا كبيرا في تلك الأحداث سواء داخل المحيط الجامعي أو خارجه، وذلك من خلال مطالبتهم بالتجديد وبضرورة إيجاد حلولا عاجلة لمختلف المشكلات الاجتماعية خاصة ما تعلق منها بالجانب الاقتصادي. ودون الدخول في التفاصيل، سمح تفتح السلطة بإنشاء العديد من الأحزاب السياسية

ومنظمات المجتمع المدني، وبالطبع انعكس ذلك على النشاط الطلابي، حيث أنشئت العديد من المنظمات الطلابية في كل المراكز والمؤسسات الجامعية، تم اعتماد بعضها من قبل الوصاية، ورفض البعض الآخر تحت تأثير الظروف التي عرفتها الجزائر انطلاقا من سنة 1992 (غانس، 2011-2012، ص ص 93-95). والشيء المهم بالنسبة لنا بهذا الصدد، هو تلك الرغبة الملحة للحركة الطلابية في المساهمة الإيجابية في التحولات الجذرية التي عرفها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، إذ لم يقف الطلبة مكتوفي الأيدي، وأبانوا عن نيتهم في تقديم البدائل وإيجاد الحلول للأزمة التي مرت بها الأمة .

إن أهم ملاحظة يمكن تسجيلها عن نشاطات الحركات الطلابية في الفترة الممتدة من بداية التعددية الحزبية إلى سنة 2004 هي ارتباط تلك النشاطات بالأحزاب السياسية، حيث سعى كل حزب لأن تكون له عين في الجامعة من خلال الحركة الطلابية التابعة له، فعلى سبيل المثال سيطر حزب جبهة التحرير الوطني الحاكم على نشاطات كل من الاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية، الاتحاد الوطني للطلبة الجزائريين والتحالف الوطني الطلابي، بينما عمل الاتحاد العام الطلابي الحر تحت وصاية حركة مجتمع السلم المحسوبة على التيار الإخواني، في حين أنشأت حركة النهضة الرابطة الوطنية للطلبة الجزائريين (سجال، 2018)، وقد كان لهذه التبعية دور كبير في تحديد موقف كل حركة طلابية من الأحداث الجارية سواء داخل الجامعة أو خارجها.

ابتداء من 2004، وبعد المنافسة التي ميزت الانتخابات الرئاسية، عمل النظام السياسي في الجزائر على احتواء كل أشكال التنظيم الاجتماعي بتمييع أنشطتها، حيث تم توظيفها لمساندة رئيس الجمهورية للبقاء أطول مدة ممكنة على رأس الهرم السياسي للدولة، وقد استغلت المنظمات الطلابية على غرار جل منظمات المجتمع المدني كمطية لتحقيق المنافع الضيقة لجماعات بعينها، وتحولت لمجرد أدوات يستخدمها أصحاب المصالح في إبداء ولائهم ومساندتهم "لفخامة" الرئيس وحاشيته، واستمر الوضع على حاله إلى غاية 21 فيفري 2019، تاريخ بداية الحراك الشعبي الجزائري.

لم تتخلف الحركة الطلابية عن هذا الحراك الشعبي الذي طالب من خلاله الجزائريون بضرورة التغيير على مستوى أعلى هرم السلطة، حيث انضم الطلبة في الأيام الأولى للهبة الشعبية، وانخرطوا بسرعة في الحملات المطالبة بضرورة تفعيل مواد الدستور التي تنص على تنحية الرئيس وحق الشعب باعتباره صاحب السيادة في أن يختار من يراهم الأكفأ لتسيير شؤون البلاد، ولم يكتفوا في الحقيقة بالمشاركة في المسيرات الضخمة التي كانت تنظم نهاية كل أسبوع، بل خصصوا لأنفسهم يوما مستقلا هو يوم الثلاثاء، حيث كانوا يتجمعون بالآلاف في مختلف المؤسسات الجامعية المتواجدة عبر مختلف ربوع الوطن من أجل الاحتجاج على النظام القائم، ومناقشة مختلف القضايا السياسية والاجتماعية بحثا عن الحلول الكفيلة بتجاوز المرحلة الحساسة، مع حرصهم على السلمية، وإظهارهم لوعي كبير بضرورة أن يكون التغيير إيجابيا. وبالرغم من الجهود التي بدلها النظام في سبيل تحييد الطلبة وجعلهم بعيدين عن الحركة الشعبية بإصدار تعليمات تنص على غلق الجامعات والإقامات الجامعية وإحالتهم على عطلة إجبارية، أصر الطلبة على مواصلة التعبئة في أيام العطل، ورفضوا بذلك أن يلعبوا دور المتفرج على الأحداث الجارية.

لقد هيأ الحراك الشعبي الأرضية المناسبة لنشاط الحركة الطلابية الجزائرية، و"منحها نوعا من الوعي السياسي وروح الجماعة، حيث أصبح الطلاب يهتمون بالوقفات وحضور الجمعيات العامة ويستمعون إلى الآراء بروح عالية تتسم

بالديمقراطية رغم اختلاف وجهات النظر والطروحات" (قويدر، 2020)، وقد أصروا على المشاركة ومواصلة النضال بالرغم من المضايقات التي تعرضوا لها والاعتقالات التي مست البعض منهم. وحتى لا نطيل في سرد التفاصيل المتعلقة بمشاركة الطلبة في هذا الحراك، لنا أن نشير لأهمية تلك المشاركة في النقاط التالية:

- ✓ اعتبر الحراك بمثابة فرصة للطلبة الشباب للتعبير عن رغبتهم في التغيير والمشاركة، ويعكس ذلك بعدا مهما للصراع بين الأجيال في المجتمع الجزائري، جيل يمثله المتحكمون في السلطة والمتمسكون بها، فارضين بذلك أسلوبا في الحياة على جيل آخر يمثله شباب مثقف يتطلع لتجسيد منطق جديد وبناء مستقبل أفضل ومختلف تماما.
- ✓ لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا محوريا في التعبئة قبل بداية الحراك وخلاله، وقد كان للطلبة دورا أساسيا في تلك التعبئة باعتبارهم الفئة الأكثر سيطرة على تلك الوسائل واستخداما لها، حيث استطاعوا من خلالها نقل الحقائق كما هي في الواقع، وبالتالي تعويض وسائل الإعلام التي كانت في بعض الفترات غائبة تماما أو مضللة.
- ✓ باعتبارهم يجسدون طبقة متعلمة، ساهم الطلبة في إثراء النقاشات حول السبل الكفيلة بإنجاح الحركة الاحتجاجية وتحقيق أهدافها العامة، حيث عول عليهم كثيرا في التوعية بضرورة الابتعاد عن العنف ومناقشة كل قضية بهدوء وعقلانية.

وبهذه المشاركة الفعالة في الحراك، برهنت الحركة الطلابية الجزائرية مجددا عن حرصها على المشاركة في كل الأحداث الكبرى التي عرفها تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وعن تحمل مسؤوليتها كاملة عندما يتعلق الأمر بالبحث عن آفاق مستقبلية كفيلة بإحداث التغيير الإيجابي بالنسبة للمجتمع الجزائري، حيث لم تتخلف هذه الحركة عن أية مناسبة، والأكثر من ذلك أن دورها كان دائما متميزا في توجيه الأحداث خاصة من خلال قدرتها على التعبئة والتأثير فيما يحدث على أرض الواقع.

7- الاستنتاج العام:

من خلال عرضنا لخصائص الحركة الطلابية ودورها الطليعي في إحداث التغير الاجتماعي على المستوى العالمي باعتبارها واحدة من العوامل التي تدفع بذلك التغير دائما نحو المستقبل وتقريبا في كل مجتمعات العالم، وفي ضوء التجربة التي عرضنا لها فيما يتعلق بالحركة الطلابية الجزائرية، يمكننا عرض أهم الاستنتاجات المستخلصة من هذه الدراسة في النقاط التالية:

- ✓ تتميز الحركة الطلابية بأسلوب متفرد في معالجتها لمشكلات المجتمعات الحديثة، وهي حركة مستقلة تبتعد كل الابتعاد عن التوجهات الأيديولوجية من حيث المبدأ، لكن أفكارها غير منفصلة تماما عن الإرث التاريخي، حيث تبني مواقفها على النظرة نحو المستقبل دون المساس بشرعية الإنجازات التي سبقتها.
- ✓ يمكن اعتبار هذه الحركة من بين العوامل المسببة للتغير الاجتماعي في المجتمعات الحديثة والمعاصرة بالنظر لأسلوبها الراديكالي في معالجة الواقع الاجتماعي، وقدرة المنتسبين إليها على تحليل هذا الواقع واقتراح الحلول العقلانية لتجاوز الجوانب السلبية التي تميزه، وقد تستخدم في سبيل تحقيقها لأهدافها كل الوسائل المتاحة والممكنة بما في ذلك الثورة والمواجهة المباشرة.

- ✓ بالنظر لأسلوبها الراديكالي، اعتبرت حركة شاذة ومنبوذة، حيث واجهت العديد من الصعوبات خاصة فيما يتعلق بالاعتراف بشرعيتها، وقد حوربت تقريبا في جميع بلدان العالم، وقمع المنتسبون إليها نظرا لجرأتهم وقدرتهم على التعبئة.
- ✓ على غرار الحركات الطلابية العالمية، لعبت الحركة الطلابية الجزائرية دورا كبيرا في الأحداث الكبرى التي عرفها المجتمع الجزائري الحديث انطلاقا من المساهمة في ثورة التحرير ضد المستعمر الفرنسي ووصولا للمشاركة بفعالية في الحراك الشعبي الذي قام به الشعب الجزائري منذ السنوات القليلة الماضية، وبذلك برهنت هذه الحركة على قدرتها على تحمل المسؤولية عندما يتعلق الأمر القضايا الوطنية الكبرى.
- ✓ أعربت الحركة الطلابية الجزائرية عن معارضتها للكثير من القرارات الرسمية، ووقفت ندا للسلطة السياسية المسيطرة عندما تعارضت تلك القرارات مع قناعاتها وطموحاتها وكان ذلك في ثلاثة محطات حاسمة، الأولى في عهد الاستعمار الفرنسي عندما دعمت الثوار عكس إرادة السلطة السياسية الفرنسية، والثانية في العهد الاشتراكي عندما عارضت وبشدة التغيير الذي حدث على مستوى النظام السياسي معتبرة إياه بمثابة خروج عن الشرعية وتحريفا للمسار الصحيح نحو بناء دولة مستقلة قوية، أما الثالث فكان إبان الحراك الشعبي في 2019.
- ✓ من خلال ما سبق، أظهرت الحركة الطلابية الجزائرية نضجا كبيرا في تعاملها مع مختلف القضايا، وعملت دائما على أن يكون التغيير إيجابيا ويخدم مصالح الأمة والشباب بالدرجة الأولى.
- ✓ عرفت هذه الحركة العديد من الانتكاسات وعلى فترات متقطعة بسبب الضغوط التي مارسها عليها النظام السياسي في محاولة توجيهها نحو خدمة مصالح إيديولوجية أو فئوية معينة، وكان ذلك خاصة في العهد الاشتراكي أو في عهد الرئيس بوتفليقة.

الخاتمة:

شكلت الحركة الطلابية واحدا من العوامل الأساسية الموجهة للتغير الاجتماعي في مختلف بلدان العالم في العصر الحديث بالرغم من الصعوبات التي واجهها المنخرطون فيها، والعراقيل التي جابهتها ميدانيا خاصة من قبل الأنظمة السياسية الرافضة للتغيير، وقد نجحت في فرض منطقها في العديد من المحطات التي مرت بها بفضل استقلالها الفكري والإيديولوجي، حيث كانت ترفض في كل مرة أن تكون أداة تتلاعب بها الأنظمة السياسية لتحقيق أجندتها، مفضلة الدفاع عن الأفكار التي يؤمن بها المنتسبين إليها، والمشاركة الإيجابية في حل المشكلات الأساسية خدمة لقضايا مجتمعية عادلة، وقد استخدمت في سبيل ذلك كل الطرق والأساليب الممكنة بما في ذلك العنف والمواجهة المباشرة مع الخصوم.

في الجزائر، برهنت هذه الحركة ومنذ نشأتها إلى يومنا هذا، على التزامها التام بالمشاركة الإيجابية والفعالة في حل القضايا الشائكة التي واجهها المجتمع الجزائري، ولعبت دورا أساسيا في محطات التغيير الأساسية التي عرفها هذا المجتمع في العديد من المرات، بل أنها رفضت أن تستخدم كوسيلة للتعبئة الإيديولوجية أو كأداة لخدمة مصالح فئات محددة، حيث عارضت العديد من القرارات السياسية وأصرت على تلك المعارضة بالرغم من أن ذلك قد كلفها الكثير، حيث عانى المنتسبين إليها من الاضطهاد أثناء حرب التحرير، وتم حلها كتنظيم في المرحلة الاشتراكية بالنظر لمواقفها الثابتة، وهمش أصحاب المبادئ من المنخرطين فيها في عهد الرئيس بوتفليقة. صحيح أن الحركة

الطلابية الجزائرية قد عرفت العديد من الانتكاسات وتأخرت في بعض المراحل على القيام بدورها، إلا أن ذلك لا يرتبط بطبيعتها، بل يمكن تفسيره بعوامل خارجية يأتي على رأسها عدم الرغبة فيها والضغط عليها من أجل توجيهها والتحكم فيها.

قائمة المراجع:

- أحمد، س. وبن سليم، ح. (2018). دور الحركة الطلابية في استقرار الجامعة الجزائرية– دراسة تحليلية. مجلة العلوم الاجتماعية، 07(31). ص ص 64-71.
- بدر، أ. (2008, 05 13). ماي/أيار 1968 بعد أربعين عامًا، الثورة الطلابية والخروج من المتن إلى الهامش نهاية اليوتوبيا أم نهاية التاريخ؟ من https://bit.ly/3IzfBQE
- بلعيد، ع. ا. (2011). الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين. رويبة: المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والتوزيع.
- نبوزيان، ع. ا. (2018, 06). دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإشراف على البعثات الطلابية إلى جامع القرويين بفاس 1931-1956. المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية, 04(07). ص ص.144-110 .
- بوعزة, ش. (2008, 05 03). أكثر من أحداث شغب طلاّبيّة وأقلّ من ثورة؟. من https://bit.ly/3vacU4u
- حمادي، ع. ا. (1995). الحركة الطلابية الجزائرية 1871-1962 –مشارب ثقافية وإيديولوجية. الجزائر: المتحف الوطني للمجاهد.
- ساسي، س. (2004, 12 12). تاريخ نشوء الحركة الشبابية والطلابية. من http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=28331&r=0
- سجال، ع. (2018, 04 12). بعد معركة التحرير.. الحركة الطلابية الجزائرية ما زالت تبعث من جديد. من https://www.noonpost.com/content/22795
- عصمت، س. ا. (2016, 12 31). الحركة الطلابية، دراسة فكرية في الحركة الطلابية بمناسبة يوم الطلاب العالمي. من https://elkods100.blogspot.com/p/blog-page_697.html
- قويدر، س. (2020, 2 10). الحراك الطلابي في الجزائر...تاريخ من الاحتجاج. من https://www.ultrasawt.com/سياسة/متصل/سياق-قويدر/سلمى-الاحتجاج/من-تاريخ-الجزائر-في-الطلابي-الحراك
- مبارك الموساوي. (2010). الحركة الطلابية الاسلامية، القضية والتاريخ والمصير. الاتحاد الوطني لطلبة المغرب.
- مياد، ر. (2013, 06). جمعية طلبة شمال إفريقيا والقضايا السياسية المغاربية. مجلة الحكمة للدراسات التاريخية, 01(02). ص ص100-82 .
- هلال، ع. (2012). نشاط الطلبة الجزائريين إبان حرب التحرير 1954 (éd. 5). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ERLICH, V. (2006, 07 06). L'identité étudiante : particularités et contrastes. Sur https://www.researchgate.net/publication/281879603_L'identite_etudiante_particularites_et_contrastes
- MARON, F. (1996). Le mouvement étudiant. Courrier hebdomadaire du CRISP (1510-1511), pp. 1-53.
- MORIN, E. (1969). Culture, adolescente et révolte étudiante. Annales : economie, société, civilisation (3), pp. 765-776.